The University of Tehran Press

Arabic Language and Literature

Online ISSN: 2423-6187

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

The Afghan Other's Image in the Epic of Adnan Ali Rida Al-Nahwi (A Semiotic Study)

Naseer Ahmad Mohabat[1] | Khodadad Bahri[2*] | Naser Zare[3]

1. Kabul Education University. Email: namohabat@gmail.com
2. Corresponding Author, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. Email: bahri@pgu.ac.ir
3. Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, Persian Gulf University, Bushehr, Iran. Email: naserzare@pgu.ac.ir

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received September 24, 2023
Revised April 06, 2024
Accepted July 29, 2024
Published online September 18 2024

Keywords:
Adnan Ali Rida Al-Nahwi,
Afghans,
Imagology,
Otherness,
Study.

ABSTRACT

In modern comparative literature, the focus on the "Other" is a pivotal concept. It involves delving into the experiences of individuals beyond oneself and empathizing with their pains, sorrows, and joys. This entails portraying their reality encompassing victories and defeats and depicting their societal, political, and wartime circumstances, along with prevailing rituals of deprivation, destruction, and ruin. This research aims to uncover the authentic depiction of Afghans that the poet conveyed in his Jihad-themed epic, employing a descriptive-analytical methodology. Among its key focal points are the portrayal of wars, blood-stained homes, images of children, heroes, places, and martyrs. The most significant conclusions drawn by the researcher include the fact that the poet presented genuine pictures of misery, sorrow, and deprivation in his poetry. His poetic creations were devoid of biases as he highlighted the glories of various regions within Afghanistan, fostering unity among diverse ethnic groups. He called upon the mujahideen to unite and avoid disagreements in both thought and action. He also delved into children's literature, articulating their inquiries and thoughts, and he never abandoned the heroic achievements of the Afghan people, underscoring the importance of martyrs and their sacrifices in the pursuit of liberation.

Cite this article: Mohabat, N. A.; Bahri, Kh. & Zare, N. (2024). The Afghan Other's Image in the Epic of Adnan Ali Rida Al-Nahwi (A Semiotic Study). *Arabic Language and Literature*. 20 (3), 255-268. Doi: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.364983.1358

© Naseer Ahmad Mohabat, Khodadad Bahri, Naser Zare

Publisher: University of Tehran Press.

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.364983.1358

جامعة طهران

مجلة اللغة العربية وآدابها

موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ٦١٨٧-٢٤٢٣

صورة الآخر الأفغاني في ملحمة "عدنان علي رضا النحوي" (دراسة صورولوجية)

نصير احمد محبت[١] | خداداد بحری[٢*] | ناصر زارع[٣]

١. جامعة التربية والتعليم بكابول. البريد الإلكتروني: namohabat@gmail.com

٢. الباحث المسؤول ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة خليج فارس ، بوشهر ، ايران. البريد الإلكتروني: bahri@pgu.ac.ir

٣. قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة خليج فارس ، بوشهر ، ايران. البريد الإلكتروني: naserzare@pgu.ac.ir

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
علمي

تاریخهای مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠٩/٢٤
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٤/٠٤/٠٦
تأريخ القبول: ٢٠٢٤/٠٧/٢٩
تأريخ النشر: ٢٠٢٤/٠٩/١٨

الكلمات الرئيسة:
الأفغان ،
دراسة ،
صورة الآخر ،
صورولوجيا ،
علي رضا النحوي.

الملخص

من المفاهيم التي عالجتها دراسةُ الأدب المقارن الحديث ، التركيز على غير الذات أو بتعبير آخر ، الوقوف على الغير عند آلامه وأحزانه وأفراحه والتصوير عن واقعه من انتصار وهزيمة أو التصوير عن حالته الاجتماعية والسياسية والحربية والطقوس السائدة عليه من الحرمان والخراب والدمار. موضوع هذا البحث صورة الآخر الأفغاني في ملحمة الشاعر "عدنان علي رضا النحوي" وهو من الشعراء الذين تحدثوا عن واقع حياة الأفغان عند الهجوم العسكري الروسي وصوّر مقاومة الأفغان ضد الاحتلال الروسي في كتابه الموسوم بملحمة الجهاد الأفغاني. يهدف هذا البحث الكشف عن الصورة الواقعية للشعب الأفغاني الذي عكس الشاعرنضالَه في ملحمته الجهادية. والمنهج المتبع فيه ، الوصفي – التحليلي ، ومن أهم المحاور فيه: التصوير عن الحروب والمنازل المتلطخة بالدماء وتصوير الأطفال والأبطال والأماكن والشهداء. وأهم النتائج التي وصل إليها الباحث: إن الشاعر عرض في شعره صوراً حقيقيةً لحياة البؤس والحزن والحرمان ، وإبداعاته الشعرية خالية من التعصب حيث ذكر أمجاد المناطق المختلفة من أفغانستان شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا راعيًا فيه القوميات المختلفة ، وأنه دعى المجاهدين إلى الاتحاد وعدم الاختلاف في الرأي والعمل ، وأنه تطرق إلى أدب الأطفال من خلال التساؤلات التي يطرحها بلسان الأطفال وتفكيرهم ، وأنه لم يتخل عن بطولات الشعب الأفغاني وأهمية الشهداء وتضحياتهم في سبيل تحرير البلد.

العنوان: محبت ، نصيراحمد؛ بحری ، خداداد و زارع ، ناصر (٢٠٢٤). صورة الآخر الأفغاني في ملحمة "عدنان علي رضا النحوي" (دراسة صورولوجية). *مجلة اللغة العربية وآدابه* ، ٢٠ (٣) ٢٥٥-٢٦٨ .

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.364983.1358

© نصيراحمد محبت ، خداداد بحری ، ناصر زارع

الناشر: دار جامعة طهران للنشر

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.363037.1352

المقدمة

الآخر الأفغاني يختلف عن الأنا في هذه الملحمة من حيث العرق ، ولكنه لا يختلف عن الأنا من حيث العقيدة والدين والأصول الثقافية. إن مهمة الأنا ومسؤولياته مع الآخر تمضي في مسار واحد إلا أن الفرق بينهما ، أن الآخر يقاوم الاعتداء والاحتلال بلون الدم والسيف و"الأنا" يقاوم بلون الدواة والقلم. الميدان واحد واللوحة واحدة إلا أن الآخر في داخل الرسم واللوحة والأنا خارجها ويرسم هذه اللوحة. وفي الحقيقة إن الأنا والآخر الأفغاني في ملحمة الجهاد الأفغاني وجهان لسكة واحدة ومتشابكان بعضهما البعض في داعية الجهاد والمقاومة ومتحدان في إقامة راية الحرية ورفرفتها في ميدان الصراع بين الحق والباطل. إن التقاط الصور من هذه الميادين ليس فقط التقاط عن الحالة وتصويرها تصويرًا رائعًا ، بل هذه الصور كلها مملوءة من الرموز ترمز إلى المجد والعظمة والإرادة والتضحية والإيثار.

يهدف البحث إلى إبراز تجليات المجد والعظمة للشعب الأفغاني المدافع عن أرضه وعن نواميسه. إن انسحاب القوات الروسية من أفغانستان ليس قضيةً عاديةً بل كان من المفروض على الشعب الأفغاني في ذلك الحين أن يقاوم بكل ما لديه من إمكانيات ذاتية ومادية ومالية ومعنوية. وسبب اختيار الموضوع يرجع إلى أسباب منها: أولاً: إن ملحمة الجهاد الأفغاني لم يتطرق إليها الباحثون في تحليل أشعارهم كما تطرقوا إلى أشعار الآخرين. وثانيًا: تكمن وراء هذه الملحمة صورٌ رائعةٌ للمقاومة الأفغانية ، ولا بد من اكتشافها وتحليلها؛ لأن معظم المثقفين اليوم عندما يسمعون اسم الأفغان يتداعى في أذهانهم التأخر والخراب ، ولربما يكون هذا بسبب الوضع السياسي المسيطر الذي شوه الصورة للشعب الأفغاني ، وثالثًا: إن الشاعر رسم جميع هذه اللوحات تصويراًاًمباشرًا وكان يرى كل هذه الحوادث والوقائع بعين الرأس ولم يتطرق إليها من بعيد.

البحث يدور حول أشعار ملحمة "عدنان علي رضا النحوي" والمحاور الفرعية فيه: التصوير عن الحروب والمنازل والمقاومة وتصوير الأطفال والأبطال والأماكن والشهداء. والسؤال الأساسي الذي سيجيب البحث عنه هو: كيف تجلت صورة الآخر الأفغاني في ملحمة الشاعر عدنان علي رضا النحوي؟ وهناك أسئلة فرعية تدور حول السؤال الأصلي وهي: كيف صوَّر الشاعر الحروب الأفغانية مقابل الروس؟ ما هي الصورة التي تعكس لنا حقيقة الجو الطبيعي وخاصة المنازل المنهدمة بسبب الاحتلال الروسي؟ كيف كان الطفل الأفغاني يعبر عن مشاعره خلال فترة التهاجم الروسي في أفغانستان؟ ما هو حظ البطولة الأفغانية في هذه المقاومة؟ ما هي المدن الأفغانية التي ذكر الشاعر أمجادها وبطولاتها؟ هل للشهداء دور بارز في انسحاب الجيش الروسي؟ وكيف؟ ولكل هذه الأسئلة سوف يجد الباحث أجوبة في ملحمة الجهاد الأفغاني.

خلفية البحث

وأهم المباحث المرتبطة بالموضوع ،هي حسب الترتيب التالي:

كتاب تحت عنوان :"صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي" لـ "سعد فهد الذويخ" في أربعة فصول و ٢٣٦ صفحة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ ، نشره عالم الكتب الحديث. تحدث الكتاب عن صورة الآخر وبحث في الموضوع من زوايا مختلفة. في الفصل الأول تكلم المؤلف عن الأنا والآخر من حيث الهوية والاختلاف ومن أهم المباحث في هذا الفصل التحدث حول التصور الإسلامي في قضية الآخر وكذلك في الثقافة العربية ، ثم تكلم في الفصل الثاني عن حضور الفرس والنبط في الشعر العربي من الموالي ونظرة العرب فيهم والرقيق والجواري ووصف المرأة الأعجمية. وفي الفصل الثالث تكلم عن الروم والترك في الشعر العربي. وفي الفصل الرابع تحدث عن الأحباش والزِّطّ والزنوج والأمم الأخرى .

وكتاب تحت عنوان صورة الآخر في الشعر العربي لفوزي عيسى طُبع في الجامعة الإسكندرية في مطبعة دار المعرفة الجامعية في ٤٨٠ صفحة. بحث الكاتب فيه عن حضور الروم والفرس والعجم والأكراد والترك والديلم واليهود وأيضاًا تحدث عن المعارك والأماكن الأجنبية في شعر المتنبي وتكلم عن حضور أماكن الفارسية والرومية وصورة الممالك المسيحية في الشعر الأندلسي وانتهى إلى وجود هذه الصورة والأماكن والأسماء في شعر العصر الحديث.

وهناك رسالة ماجستير تحت عنوان الآخر في الشعر الجاهلي لعودة أحمد ياسين ، وقد نشرتها جامعة النجاح الوطنية وتمت مناقشتها في سنة ٢٠٠٦ ، في ٩٦ صفحة. وضعت الباحثة في هذه الرسالة أربعة فصول ، وكل فصل يتحدث عن

موضوع خاص. تحدث في الفصل الأول عن مفهوم الآخر والتحليل عن موقع الجزيرة وأثره في الاتصال. وفي الفصل الثاني تكلم عن حضور الأَعْراق المختلفة ،منها العِرق الفارسي ، والرومي ، والهندي ، والحبشي ، والنبطي. ومبحث الفصل الثالث محوره ، الآخر من وجهة النظر الديني وتحدث فيه عن اليهودية والنصرانية والمجوسية. وفي الفصل الرابع جاء بقضية الأثر حيث شرح أثر الآخر في لغة الشاعر الجاهلي وموسيقاه .

ورسالة ماجستير تحت عنوان الأنا والآخر في شعر محمد الفهد العيسى لعبدالله بن محمد الأسمري ، المنشورة من جامعة المدينة العالمية سنة ٢٠١٤من دولة ماليزيا في ٢٠٠ صفحة. تطرق الباحث في الفصل الأول إلى أبعاد النفسية للأنا وهي: الأنا المتألمة و الأنا المتشائمة ، و الأنا المعتزة ، ثم تطرق إلى موقف الآخر عند الأنا وهو: الآخر الحبيب ، والآخر الحاسد والعاذل والآخر من حيث الشخصية المحايدة. وفي الفصل الثالث تحدث عن علاقات الأنا والآخر.

ومقالة تحت عنوان تجليات الذات والآخر في شعر العكوك لعصام محمود أحمد ، نُشرت في مجلة Research Language Teaching العدد ٢ والنسخة ١٧ والسنة ٢٠٢١. ومقالة تحت عنوان صورة الآخر الإسرائيلي في رواية المتشاكل لإميل حبيبي للباحثين مسعود شكري ، وكبرى روشنفكر ، وخليل برويني ، وفرامرز ميرزايي في مجلة إضاءات نقدية ، السنة السابعة ، العدد ٢٧ ، والسنة ٢٠١٧ من الصفحة ٨٦-١٠٩. ومقالة معنونة بصورة الآخر الأجنبي والعربي في شعر فاضل العزّاوي لـ توفيق رضابور محسني ورسول بلاوي وعواد كاظم لفتة الغزي في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية ، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية ، السنة ٢٢ ، العدد٢ ، خريف وشتاء ١٤٤١ق من الصفحة ٧١-٨٨. ومقالة أخرى تحت عنوان صورة الآخر البعثي في الرواية العراقية (رواية إعجام؛ أنموذجًا)لخداداد بحري وصادق البوغبيش ، في مجلة اللغة العربية وآدابها السنة١٧ ، العدد٢ ، صيف٢٠١٢ من الصفحة ٢٢٥-٢٤٦.

وجميع هذه المكتوبات من الكتب والرسائل الجامعية والمباحث العلمية تتحدث عن حضور الآخر إما في الشعر وإما في الرواية. الفرق البارز بين هذا البحث والبحوث السابقة ، أن الآخر الأفغاني في الشعر العربي الحديث من المباحث التي لم يتطرق إليه الباحثون وحتى لم يستطع الباحث العثور على أبحاث متوفرة تعالج الصورة الأفغانية في الشعر العربي وخاصة في ملحمة عدنان علي رضا النحوي؛ فنظرًا إلى هذه الملحوظة يُعدّ هذا البحث من البحوث الجديدة من جهتين: أولاً: إن حضور الأفغان في الشعر العربي لم يتطرق إليه الباحثون كما هو شأن الأعراق الأخرى ويمكن القول بأن سببه يرجع إلى تسليط الحروب المفروضة على أفغانستان وشعبها المجيد التي وجَّهت معظم الكتاب والباحثين الأفغانيين وغير الأفغانيين إلى الإمعان في المسائل السياسية ، وثانيًا: إنَّ الوضع المتوتر السياسي في أفغانستان وخاصة في العقدين الأخيرين للقرن العشرين والعقدين الأولين للقرن الحادي والعشرين شوَّه صورة الأفغان في أنظار المثقفين ، اجتماعيًا وسياسيًا وثقافيًا ، وهذا ما أدى إلى أن الباحثين لم يمعنوا حقيقة صورة الأفغان في أبحاثهم الأدبية من ضمن الشعر العربي.

الإطار النظري

من الكلمات المتداولة في الأدب المقارن التي لفتت أنظار الباحثين ، كلمة الآخر. وردت هذه الكلمة بمفهومها اللغوي ، في المعاجم اللغوية المختلفة. جاء في لسان العرب: "وَمَعْنَى آخَرُ شيءٌ غيرُ الأَوّلِ".(ابن منظور ، ١٤١٤ق: أخر). وورد في مختار الصحاح: "وَ الْآخَرُ بِفَتْحِ الْخَاءِ أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ وَهُوَ اسْمٌ عَلَى أَفْعَلَ وَالْأُنْثَى أُخْرَى"(الرازي ، ١٩٩٩م: أ خ ر). وجاء في تاج العروس: "والآخَرُ بِمَعْنَى غَيْرٍ ، كقولكَ: رجلٌ آخَرُ ، وثَوْبٌ آخَرُ ، وأَصلُه أَفْعَلُ مِن أَخَّر ، أَي: تَأَخَّر ، فَمَعْنَاه أَشَدُّ تَأَخّرا ، ثمَّ صَار بمعنَى المُغَايِرِ"(الزَّبيدي ، دتا: أخر). وجاء هذا اللفظ في المعجم اللغة العربية المعاصرة: "آخَرُ مفرد ، وجمعه آخَرُون للعاقل ، وأُخَّر وأواخِرُ ، ومؤنثه أُخْرَى ، وجمه أُخْرَيات وأُخَرُ أي: أحد شيئين يكونان من جنس واحد"(عمر ، ٢٠٠٨م: أ خ ر).

إن تاريخ بدء دراسة صورة الآخر في الأدب المقارن يرجع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد عندما سافرت الأديبة الفرنسية (مدام دو ستال) إلى ألمانيا حيث ألفت كتابًا باسم "ألمانيا" وصورت فيه الجوانب المختلفة من حياة الشعب الألماني ، وهذا في حال أن صورة الآخر الألماني كانت مشوَّهةً في أنظار الفرنسيين في ذلك الحين. تمتعت الكاتبة الفرنسية بجمال الطبيعة الخلابة الألمانية لا سيما نهر الراين والغابة السوداء ، وكذلك تمتعت بغنى الأدب الألماني

وفلسفتها الرفيعة ، وهذه الرحلة وجّهت الكاتبة أن تبدأ شيئًا فشيئًا في تصحيح الرؤى الفرنسية العدوانية بالنسبة لثقافة شعب الألمان وبلادها ، ويُعدُّ هذا الكتاب من بدايات الدراسات الأدبية للآخر (الصورولوجيا) في الأدب المقارن(حمود ، ٢٠٠٠م: ١١٠).

مصطلح الآخر متغيِّر المفاهيم ، وقد يختلف معناه من حقل إلى حقل حسب مقتضى الحال واللحظة التاريخية المعنيّة؛ فمفهوم الآخر من منظور علم النفس: كل ما هو خارج الذات ، بمعنى أن الآخر غير الذات ، والذات إما يكون في الصدام مع الآخر فيتعامل معه مثل عدو ، وإما يكون في التعايش معه فيتعامل معه كصديق ، وإما يكون في التحالف معه فيتعامل معه في ساحة السياسة ، وإما يكون في إقامة الشراكة معه فيتعامل معه في أرضية التجارة؛ فالآخر حسب هذا التعريف غير الذات والتعامل معه حسب مقتضاه(الشبلي ، ٢٠١٩م: ١٦). وهناك تعريف آخر محكوم على شرط المجاورة في المكان والزمان؛ لأن المواقف البشرية تختلف حسب اختلاف الجغرافيا والزمان؛ ولأجل هذا ، نوع العلاقة بين الذات والآخر يظهر على مستويات مختلفة كما ذكرها الشبلي آنفًا ، "وليست العلاقة فقط في التضاد بل قد تتمظهر هذه العلاقات على شكل توازٍ حضاريّ أو تداخل وتقاطع وتحاور أو اندغام أو مجرد تراسل وتجانس؛ فبناءً على هذا: الآخر مفهوم مزود بمعنى يفضي إلى أنه يعني الكلية الاجتماعية الأديولوجية والحضارية المجاورة للذات في المكان والزمان بمفهومهما الواسع"(حسين ، ١٩٩٩م: ١٦٠).

وقد شاع هذا المصطلح في الدراسات الأدبية المقارنة وفي الاستشراق والخطاب الاستعماري فالآخر في مفهومه المتداول: "مجموعة من السمات الثقافية والحضارية التي تحدد هوية مجموعة بشرية وتميزها عن غيرها"(الشبلي ، ٢٠١٩م: ١٥). ويرى الذويخ أن الأنا والآخر مولودان معًا ولا يتكون الأنا إلا بالتواصل مع الآخر وصورة الأنا مرآةٌ لصورة الآخر أو العكس ويؤكد أن وجود أنا محصور بوجود آخر واستخدام أي منهما يستدعي صورة الآخر ، ثم يأتي بتعريفه من منظور علم النفس ، حيث يقول: "والآخر مجموعة من السمات أو السلوكات الاجتماعية ، والنفسية ، والفكرية التي ينسبها فرد أو ذات أو جماعة ما ، إلى الآخرين مما يحيل إلى أن الآخر حاضر في المجال العام للهوية"(الذويخ ، ٢٠٠٨م: ٩).

إن مفهوم الآخر غير محدد ، ويرى بعض النقاد أن الآخر هو المضاد أو النقيض للذات كما عرّفه فوزي عيسى: "إن مفهوم الآخر من وجهة نظرنا يبدو أكثر تحديداً فنعني به: الأجنبي المضاد للذات العربية والذي فرضت الظروف السياسية والاجتماعية والجغرافية والحضارية أن يكون هناك اتصال وتماس وعلاقة وحوار بين الطرفين" (عيسى ، ٢٠١٠م: ١). ويرى بعض النقاد أن الآخر يتعين معناه ومستواه بتعيين الأنا ومستوياتها فالذات إذا كان ينتمي إلى عرق فالآخر هو الذي ينتمي إلى عرق آخر ، وبذلك ، فالآخر إما يكون دينيًا أو مذهبيًا أو قوميًا أو عرقيًا أو جغرافيًا أو اجتماعيًا أو ثقافيًا أو سياسيًا ، ومن ضمن هذه المواقف يتعين مفهوم الآخر بالنسبة للذات(بحري ، البوغبيش ، ٢٠٢١م: ٢٢٩). ومن ضمن هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية نجد أن الآخر خارج عن حدود الذات وفي نفس الوقت لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأن الأنا والآخر وجهان لسكة واحدة وبينهما علاقة وثيقة ، وهذه العلاقة إما علاقة إيجابية؛ فتتمثل في الحب والود والاحترام وبيان الإيجابيات وإما تتمثل في الجانب السلبي؛ فتظهر في التشويه والهجو وبيان الجانب السلبي.

الآخر الأفغاني مقابل الهجوم الروسي

ومن المباحث بالغة الأهمية في ملحمة عدنان النحوي ، تسجيل الصور للحروب الأفغانية ضد التهاجم الروسي في أفغانستان. هذه الحوادث المريرة أثَّرت في تزيين لوحاته الفنية الشعرية وازداد شعره قوةً وجمالاً. والأبيات التالية تعبر عن جرائم الروس الحربية:

وكـــم هـــوىَ المِنجَـــلُ الـــدَّامي علـــى بلـــدٍ ... ليَســـحقَ الأرض مـــن زرعٍ ومـــن نســـمِ

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٠٧)

بدأ الشاعر البيت بكم الخبرية للدلالة على كثرة الهجمات ، ثم أتى بفعل (هوى) الماضي للدلالة على توثيق وقوع المظالم ضد البشرية ، وأكثر دلالات هذا الفعل سلبيٌ كما ورد في تفاسير القرآن الكريم ، وهنا يُكتفى بعرض الموضعين:﴿وَمَنْ يَحْلِلْ

عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[طه: ٨١] وجاء في تفسير (هوى): "قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي فقد شقي"(ابن كثير ، ١٤١٩ق: ٢٧١). ﴿وَالنَّجْمِ إِذا هَوى﴾[النجم: ١] "هَوى: غرب وسقط"(الزحيلي ، ١٤١٨ق: ٩٦). وفي باقي المواضع وردت الكلمة بأشكالها الإسمية إما مع الألف واللام ، مثل: (الهوى) وإما مضافة إلى ضمير الهاء ، مثل: (هواه) وإما بشكل الجمع ، مثل (أهواء) ، وفي كل هذه المواضع تتضمن في الأغلبية المعاني المذمومة للنفس ، مثل: العشق واتباع الشهوات والأهواء والميول النفسية والرغبات الشخصية.

وصف الشاعر المنجل الذي هو رمز الشيوعية للفلاحين في الاتحاد السوفيتي ، بالدَّيمومة ووسيلةً لهلاك الحرث والنسل في أفغانستان وأخرج مفهومه من معناه الحقيقي الذي يرمز إلى عمل الفلاحين ، إلى رمزية دموية بوضع صفة (الدَّامية) وقلَّب مفهومه الأصلي إلى مفهومه الاحتلالي والهجومي والدموي ، ثم استعمل الفعل (يسحق) ليدل على كمال دمويته وليكون وسيلةً من وسائل هلاك الزرع والنسل ، ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك: ١١] " أي فبعدٌ وهلاكٌ لأهل النار"(الصابوني ، ١٩٩٧م: ٣٩٤). قدَّم الشاعر هنا صورة الوضع السائد على الآخر الأفغاني بأقبح أنواع الظلم ومنتهى مظلومية الشعب باستعمال الكلمات شديدة اللحن التي تفيد الميول النفسية والديمومة والهلاك والإبادة ، مثل: (هوى ، المنجل الدامي ويسحق). ثم يقول:

هنـــا التقـــى الظالمـــان اســـتحدثاعجبًا بـــين الكـــواليس مـــن شـــرٍّ ومـــن غمـــمِ

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٠٧)

وفي هذا البيت يصوِّر الشاعر التقاء الروس المحاربة والأميركا الماكرة بلفظ (الظالمان) في ميدان الحرب ناويين إخضاع أفغانستان وأهلها. يبدأ الشاعر البيت باسم الإشارة للمكان القريب (هنا) إشارة إلى كابول بحيث أنه استقر في محل الحوادث ويصوِّر الأحداث كما هي ويعبر عن حالة الآخر الأفغاني؛ فهو يشبه أراضي كابول بالكواليس ، "وهي الكلمة المعربة من الفرنسية (Coulisse) ومعناها: "أماكن على المسرح لا يراها المشاهدون ، ويكون فيها الممثِّلون قبل أن يظهروا على المسرح ، ثم تطورت الكلمة لِتدلَّ على قاعة خلفية مجاورة لمكان الاجتماع يتفق فيها المجتمعون على ما ينبغي أن يُعرض على المؤتمِرين ، ثم أصبحت تدل على الممرات المؤدية إلى مكان الاجتماع ، وعلى ما يُهَيَّأ في الخفاء قبل الإعلان عنه. ويُقال: فلان يعرف ما يجري في كواليس السياسة"(أبو طالب ، د-تا: ٢٠١).

أو هو: "خلفية في المسرح ، وهي على شكل ستائر. يقال: ما يجري وراء الكواليس ، وهو استعدادات الممثلين والممثلات قبل ظهورهم على خشبة المسرح لا يراها المشاهدون بسبب الحواجز"(عبد الرحيم ، ٢٠١١م: ١٨٥). ومن ضمن هذين المفهومين للكواليس أراد الشاعر أن يصور الحالة المتوترة باستعمال الفعل الماضي (استحدثا) تأكيدًا لوقوع الكارثة وإشارةً إلى مواجهة الروس والأميركان في البلد. يُقدِّم الشاعر في هذه اللوحة صورةً مأساويةً ويبيِّن تراجيدية الوضع -وراء الستائر المتوترة- وتلوث الفضاء بالشر والآلام والأحزان باستعمال الكلمات ، مثل: الظالمان ، والكواليس ، والشر ، والغمم المترجمة للحالة المتوترة الحربية في كابول. ثم ينتقل من أسلوب الغياب إلى أسلوب الخطاب حيث يخاطب العاصمة الأفغانية بقوله:

نزعـــتِ يـــا أرض كـــابول قناعهمـــا وبـــان زَيفُهُمـــا في وقـــدة الضـــرم

(النحوي ، ١٩٩١م ، ١٠٧)

يصور الشاعر هزيمة الروس والأميركان مقابل الشعب الأفغاني ، في الكلمات : نزعتِ ، وقناعهما ، وزيفهما ووقدة الضرم؛ لأن التأمل في مفهومها اللغوي يسوقنا إلى أنها تدل على الشدة والصراع الشديد بين الشعب الأفغاني والجيش الروسي إضافةً إلى المكر الأميركي حتى نزوع القناع منهما ، وكما ترجع الفضة والذهب بسبب شدة الحرارة إلى أصالتهما ، هكذا كانت حالة الروس والأميركا في العاصمة الأفغانية ، حيث أظهرت المقاومة الأفغانية حقيقتهما الخبيثة وكشفت عن صورتهما البشعة."قِناع مفرد وجمعه أَقْنِعَة: ما يُستر به الوَجهُ ، قِنَاع المرأة ، قاطع طريق يلبس قِنَاعًا ، أغدقتِ المرأةُ قِنَاعَها: أرسلته وأرخته حتى غطَّى وجهَها ألقى عن وجهه قِنَاع الحياء"(عمر ، ٢٠٠٨م ، المجلد٣: ١٨٦٣). "هذا درهم زيف ، وأجاز علماء اللغة الوصف بالمصدر ، وهو أبلغ من الوصف بالمشتق"(عمر وزملاؤه ، ٢٠٠٨م: ٤٢٨). ومن جمالية هذه اللوحة حركية التصوير؛ فالشاعر رسم لوحته الفنية بالكلمات المذكورة ويبدوا في الصورة أن الحالة المسيطرة على كابول

وصلت إلى أكبر حد دمويٍّ حتى أن كشفت المقاومة عن كيدهما وعن أفكارهما السيئة تجاه الشعب الأفغاني المقاوم وظهرت حقيقتهما وكيدهما في ذلك الحين ، ثم يصوِّر منظرًا وخيماً آخر ، بقوله :

وأقـــبلا بزُحـــوف المـــوت كاســـحةً تطـــوي الشـــواهقَ طـــيَّ الجـــارف العـــرمِ

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٠٧)

وفي هذا المشهد يعبر الشاعر عن الحالة المأساوية التي فرضها الروس والأميركان على الشعب الأفغاني بأشد حركة الهجوم وأقبح أنواع الهلاك والدمار. لوَّن الشاعر هذا المنظر باستعمال ألفاظ ، مثل: زحوف الموت ، وكاسحة ، وتطوي ، والشواهق ، والجارف ، والعرم؛ لتدل على القوة والبأس الشديد والخراب والدمار؛ لأن كلاًّ من هذه الكلمات والعبارات تحمل أثقل المفاهيم في ذواتها ، وتحمل القارئ إلى فضاءات شديدة المنظر ، وتُظهر للقارئ المشهد بكل شراسته وقباحته ، وتزداد جمالية هذا المشهد في حركية صورته وإذا تأملنا فيها وجدناها تتحرك إلى الأمام بكل قوة وشدة وقسوة. وقد استعمل الله -سبحانه وتعالى- عبارة "سيل العرم" في القرآن في مقام الهلاك للذين قاموا بإعراض رسله ، "لقد بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيًّا فكذبوهم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) يقول تعالى ذكره: فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول"(الطبري ، ٢٠٠٠م: ٣٧٨).وكما أنزل الله سبحانه وتعالى سيل العرم رمزًا لهلاك القوم الذي أعرض عن رسله ، كذلك الروس والأميركان هجما على أفغانستان وشعبها مثل السيل العرم ، ناويين هلاك البلد وإبادته بكل قسوة وشدة.

صورة الطبيعة للآخر الأفغاني

ومن ملامح صور الطبيعة في شعر عدنان النحوي للآخر الأفغاني ذكر المنازل مصوِّرًا فيها اللون الدموي ، حيث يقول :

كـــل يـــوم علـــى مرابعـــك الحمـــــ ـــــرِ طيـــوف الأعـــراس والأعيـــاد

(النحوي ، ١٩٩١م: ١١٨)

وضَّح الشاعر هنا حالة المنازل مخروبةً ومحمرَّةً باستعمال التركيب الإضافي والوصفي (مرابعك الحمر) وسمى البيوت بالمرابع؛ لأن العرب يسمون المنازل التي يأتي إليها الناس في فصل الربيع ويتركونها عند الشتاء ، مرابع أي: بيوت فصل الربيع ، قال: "أَبُو عُبَيْدَة عَن الأصمعيّ: الْمنزل فِي الرّبيع خاصَّة"(أبو منصور ، ٢٠٠١م: ٢٢٤). والصورة الكلية في هذه اللوحة البيانية توجهنا إلى منظر مأساوي حيث تجسِّد للناظر ازدواجية الوضع؛ الفرح والسرور والتلذُّذ من قبل المهاجم السفاح ، والمنازل المخروبة والملونة بدماء المقاومة والشهادة والتضحية لأهالي المنطقة. ثم ينادي من أعماق قلبه ،الشعبَ الأفغاني بعظمةٍ وإكرامٍ وإجلالٍ ، ويقول:

يـــا جبـــال الأفغـــان ويـــا قلعـــة المـــو تِ! ويـــا حصـــن أمـــةٍ وبـــلاد

(النحوي ، ١٩٩١م: ١١٨)

يمثِّل الشاعر في هذا البيت مكانة الشعب الأفغاني باستخدام أسلوب النداء؛ في ثلاثة مواضع (يا جبال الأفغان ، يا قلعة الموت ، يا حصن أمة وبلاد)؛ لأن من دلالات أسلوب النداء في البلاغة العربية ، مكانة المنادى وعظمتها ، "وقد يُنزل القريب منزلة البعيد ، فينادَى بغير (الهمزة ، وأي) ، إشارة إلى عُلُوّ مرتبته ، فيجعلُ بعدُ المنزلة كأنه بُعد في المكان وأنت معه؛ للدلالةِ على أن المنادى عظيمُ القدر ، رفيعُ الشأن ويكثر هذا في نداء الأطلال والمطايا"(الهاشمي ، د تا: ٩٠). والصورة الكلية تدل على عظمة الشعب الأفغاني من حيث أنهم فرسان مقابل الغزو الروسي وأبطال لا يتركون خنادق المقاومة للروس وعملائه قادرين على دفع الدب الأبيض إلى الوراء ، ثم يقول:

فـــإذا أنـــتِ يـــا رُبـــوعُ عـــروسٌ مَهرُهـــا في الـــوغى وفي استشـــهادِ
وليـــالي أفراحِهـــا خطـــراتٌ بـــين ومـــض القنـــا ووقْـــدِ زِنـــادِ

(النحوي ، ١٩٩١م: ١١٩)

يبدأ الشاعر هذين البيتين بالفاء متصلة بإذا الفجائية للتأكيد على أن الربوع أصبحت عروسًا والمهر المطلوب في هذا العرس ، الوغى واستشهاد وهذا من أغلى المهور التي يُؤدّى في هذا المشهد."وقد يجمع بين الفاء وإذا الفجائية تأكيدًا ، خلافا لمن منع ذلك"(الأزهري ، ٢٠٠٠م: ١٠٧) ، ثم يقول نقلاً عن الزمخشري: في تحليل الآية ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[الأنبياء: ٩٧]" إذا [هذه] هي الفجائية ، وقد تقع في المجازاة سادة مسد الفاء ، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء فيتأكد"(الأزهري ، ٢٠٠٠م: ١٠٧) ، وقد لا يفيد هذا الاتصال التوكيد بل يفيد السببية والمفاجأة كما ورد في قوله تعالى: ﴿ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧] ، وحذف أحدهما في مثل هذا الموضع يعرض الخلل في المعنى ولا يستطيع الآخر أن يؤدي المعنى" (السامرائي ، ٢٠٠٠م: ١١٩).

واستعمل الشاعر كلمة (رُبوع) بدلاً عن كلمة (مرابع)؛ لتدل على تعددية المعنى."وَقَالَ شمر: الرُّبُوع: أهل الْمنَازل أَيْضا. وَقَالَ ابْن الْأَعرَابِي: الرَبَّاع: الرجل الْكثير شرَى الرُّبُوع ، وَهِي الْمنَازل"(أبو منصور ، ٢٠٠١م: ٢٢٤). والوغى:الصَّوْت والجَلَبَة واختلاطُ الْأَصْوَات فِي الْحَرْب ثمَّ كَثُر ذَلِك حَتَّى سُمِّيَت الحربُ وَغىً والوَغى أَيْضا: أصوات النَّحْل والبعوض وَنَحْو ذَلِك إِذا اجْتمعت"(المرسي ، ١٩٩٦م: ٤٧٠). فالصورة التي عرضها الشاعر تعبير عن شدة الحروب بذكر الكلمات: (الوغى ، واستشهاد ، وخطرات ، وومض القنا ، ووقد زناد) المعبرة عن عواطفه وعن واقع الشعب الأفغاني الذي يمر الزمن عليه في قسوة وشدة وتضحية. وكذلك نجد البيتين من حيث المقام محل اجتماع؛ لأن الكلمات والعبارات المستعملة فيهما ، جميعها تدل على الاجتماعات والاحتفالات ومن هذا المنظور نجد المقام هنا ، مقامًا مزدحمًا ونجد التعامل فيه تعاملاًدمويًا وخطيرًا ليس فيه استقرار ولا راحة بل جميع الصورة من أولها إلى آخرها تتعامل مع الحركة والعدو والتقابل والانشعال.

صورة الآخر الطفل

ومن أعظم الأجيال المنكوبة في أفغانستان عبر الاحتلال الروسي ، جيل الأطفال ، والشاعر أنشد لهم قصيدة خاصة في ملحمته تحت عنوان "طفل من أفغانستان" حيث يقول فيها :

رأيت طفلاً من الأفغان يسألني ... من جاء "بالروس" زهو الظالم الحرد
أليس عندهم مأوى يلُمُّهُمُ ... وغرسةٌ حملتْ زاداً لمرتَقدِ
ونبعةٌ سكبَتْ ماءً لذي ظمأٍ ... وحكْمةٌ من جلاء الدين والرشد
أليس عندهم طفلٌ تَحِنُّ له ... أمٌّ فتُطْلقهُ من شوْقها لدد
ما بالُهم أقبلوا مثل الجراد على ... زرعٍ فأضحى ربيعُ الأرض كالجردِ
ياليتهم صبروا حتى نمُدُّ لهم ... صفْوَ النصيحة من دين ومن رَفدِ

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٢٧)

يتحدث الشاعر هنا عن الطفل الذي تعب عن الاحتلال؛ الطفل الذي يشتكي عن المظالم ويتدفق فيه عواطف الطفولة ويرى نفسه في عالم من الحرمان ، يتساءل ويتساءل كما هو عادة الأطفال ، يُعبِّر الشاعر في هذا المقطع عن مشاعر الطفل الأفغاني وآلامه وكيف هو يسبح في عالم من التساؤلات حول حاضره ومستقبله.

ومن جماليات هذه اللوحة أن الطفل يطرح الأسئلة على الشاعر ويسأله عن الحلفاء الذين جاءوا بهم؛ لأن الروس هاجموا أفغانستان ، إثرَ تحالفهم مع الحزب الشيوعي الحاكم في ذلك الحين؛ ومن أجل هذا يقول الطفل: مَن جاء بهم؟ ثم يسأله عن مأواهم ووطنهم ويتساءل عن أفعالهم المعروفة التي تدل على ثقافتهم ، وهذا يعنى أن الطفل الأفغاني اعتاد بهذه الثقافة في مجتمعه. ثم يتساءل عن أطفالهم ويرمز بهذا إلى عواطفهم الإنسانية التي ربما تسدُّهم عن هذه المظالم ، ثم يتساؤل عن سبب إقبالهم إلى أفغانستان وشبَّههم بجراد منتشر جعل الأرض خالية جرداء. الصورة الكلية في هذه الأبيات تعبِّر عن أن الطفل تعبٌ إثْرَ الجو السائد عليه ويريد أن يبين آلامه ومآسيه لمواسي ويسأله بعض التساؤلات في

منتهى عجز ويأس ، وفجأة يتدفق في داخله أثر الرجولة والبطولة فيلتفت من طرح الأسئلة إلى التمني أن يصبح فتىً شابًا. وفي الحقيقة تجمع هذه الصورة حالتين؛ حالة البؤس والعجز والألم والحرمان وحالة التفاؤل والقوة والإلتيام والثأر.

صورة الآخر البطل

ومن المظاهر البارزة في الشعر العربي ، البطولة أو الفروسية ، واشتهر بها عنترة بن شداد العبسي من شعراء المعلقات السبعة ، ويوجد هذا النوع من الشعر في ملحمة عدنان النحوي الذي أنشد في بطولات الشعب الأفغاني المتحمل صعوبات المقاومة ضد الاحتلال الروسي في أفغانستان ، ومن أمثلة هذا قوله:

فعلى كل ذروةٍ صيحةُ الحقِّ ودعوى مُكبِّرٍ ومنادِ
وحُماةٌ كأنهم قَدَرُ المو تِ لغازٍ وصعقةٌ لُمعادِ
حطَّموا القيدَ! يا لِشرٍّ قيودٍ ورموا من هويّ ومن أصفادِ

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٢٢)

يصور الشاعر هنا شجاعة الشعب الأفغاني مقابل الهجوم الروسي ، ويعكس هذه البطولة في كلمات تدل على الشجاعة والقيام ورفع الصوت مقابلهم جهارًا دون خوف وخشية. والكلمات التي استُعملتْ في هذه الأبيات الثلاثة جميعها دالَّةٌ على الإعلان والجهر والحركية والقوة ، إضافةً إلى التراكيب المستعملة في هذه الأبيات.

كلمة (ذروة) تصوِّر المرتفعات والأعالي والمجد والعظمة "والذِّرْوَةُ: أعلى السَّنام وكلِّ شيء"(الفراهيدي ، د-تا: ذرو)وتركيب (صيحة الحق) تدل على شدة الصوت جهارًا؛ لأن الصيحة نوع من الأصوات الجهرية العالية "والصّياح ، الصّوتُ الشّديد. صاح صَيْحةً وصياحًا"(الفراهيدي ، د-تا: صيح) ، وهذا يرمز إلى أن المقاومة هذه ليست مقاومةً مختفيةً وراء أستار ، بل يرفع الشعب صوته بكل قوة ويبادر بالخلاص من القيود وإعادة الحرية إليه ، وفي التركيب تصوير عن الشوق والاهتزاز والحركية ما ليس في غيره ، ثم يأتي الشاعر ويستعمل تركيب (ودعوى مُكبِّرٍ ومنادٍ) وهنا أيضًا نوع من رفع الصوت مقابل المهاجم ، إضافةً إلى بيان عظمة الله -سبحانه وتعالى- بلفظ (ألله أكبر) جهارًا وعلنًا. وفي البيت الثاني صورة عن المناضل لا يفر من الموت وأنه يرحب الموت في ميدان القتال ولا يخاف منه؛ لأن الغازي هو المحارب الذي قدر الله -سبحانه وتعالى- له الموت وأنه يستقبل الموت بكل شجاعة ، وأنه بمثابة الصوت الشديد للعدو. "الصاعقة نَار تسْقط من السَّمَاء وَالْعَذَاب المهلك والصَّعق الشَّديد الصَّوْت"(مصطفى وآخرون ، د-تا: صعق).

وفي البيت الثالث يصور الشاعر هزيمة الجيش الروسي حيث استعمل لفظ التحطيم بصيغة الفعل الماضي (حطَّموا القيد) ليفيد حتمية هذه الهزيمة الفاشلة المنتهية إلى انكسار الاتحاد السوفييتي إلى دويلات صغيرة "حَطَم: مرادف كسر ، ويستعمل مجازًا بمعنى فلَّ العدو وهزمه ، و حَطّم بالتشديد: زاحم ، جد في مطاردة العدو"(آن دوزي ، ٢٠٠٠م: حطم). فجميع هذه الصور في قالب الكلمات المفردة والتراكيب والجمل والتشبيهات ، تعكس صورةً كليةً للمقاومة والنضال تجاه الاعتداء والهجمات الميدانية ويصور بطولات الشعب المقاوم الأفغاني في ميدان المحاربة والجهاد.

صورة الأماكن

ولقد ذكر الشاعر في ملحمته بعض المناطق الأفغانية ورفع الأستار عن أمجاد هذه المناطق ومقاومتها وصوّر الوقائع التي أحدثها الاحتلال الروسي في هذه المناطق ، ومن هذه الأماكن ولاية (خُسْتْ) وولاية (جلال آباد) وولاية (هرات) وولاية(كابل) و(جبال هندوكوش) وولاية (بنشير) و(جبال سليمان) و(جبال سلنج).

سلوا مرابع "خُستٍ" عن وقائعها وعن لهيبٍ على الساحات متَّقدِ
وعن فوارس طاروا كالبروقِ لها برْقُ الحتُوفِ وبرقُ الزَّحف والرعد

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٣٠)

يصف الشاعر هنا الحوادث التي سادت على ولاية (خُست) وعلى أهاليها عند ذلك الهجوم؛ عن لهيبها وخراب ساحاتها ، ثم يذكر فوارس هذه الولاية ويذكر فروسيتهم في ألفاظٍ تدل على الحركة واللمعان والبراقة والطيران التي ترمز إلى المقاومة والكفاح والنضال ، واستفاد في تزيين هذه الصورة من تشبيه التمثيل. ثم يأتي ويذكر أمجاد ولاية (جلال آباد) بقوله :

سلوا "جلال أباد" كم أحاط بها ... عزائم الحق من صبرٍ ومن جلدِ
يلتفُّ حول روابيها غطارفةٌ ... صيدٌ تدافع كالأمواج والزبد
ترمي على ليليها من كفِّها شُعلاً ... فتستضيء دياجي البيْدِ والنجدِ

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٢٩)

ويذكر الشاعر في هذه الأبيات مدينة (جلال آباد) المنطقة الشرقية في أفغانستان ، وتحدث فيها عن أمجادها وعن تحمل أهلها المشقات ، وكم احتضنت المدينة الصابرين وأهل العزيمة والإرادة والصلابة والقوة والحق وأهل السخاء والكرم. ثم يأتي ويذكر أمجاد مدينة (هرات) و(بلخ) و(سلنج) بقوله :

سلوا "هراتا" و"بلخًا" كل موقعة ... آيٌ على طارف الأمجاد والتَّلَدِ
والمؤمنون حُماةٌ ، عنك كم دفعوا ... من الوحوش ومن ذئبٍ ومن قردِ
سلوا "سلنج" وما صبَّ العدوُّ به ... من اللّظى حممًا فتّاكة العُددِ

(النحوي ، ١٩٩١م ، ١٣١)

يتحدث الشاعر في البيت الأول عن عظمة البلدتين؛ مدينة (هرات) في غرب أفغانستان ومدينة (بلخ) في شمال أفغانستان ويعطي لنا صورة عن موقعهما التاريخي والثقافي بذكر الكلمات (طارف الأمجاد) و(التلد) حيث ترمزان إلى استطراف المدن وإلى قدمتهما وأصالتهما من حيث الآثار التاريخية العريقة ، ثم يشير في البيت الثاني إلى كثرة الدفاع عن هاتين المدينتين بذكر كم الخبرية التي تدل على الكثرة وتكرار الحادثة بأيدي المؤمنين ويشوِّه المعتدين والمهاجمين بذكر الكلمات التي تدل على هجو الغارات وأصحابها بالوحوش والذئاب والقردة .

وفي البيت الثالث يذكر المنطقة الشمالية للعاصمة كابل؛ منطقة (سلنج) الملتفة بالجبال المشهورة في أفغانستان المغطاة بالثلوج. يصور الشاعر في هذا البيت وقوع الكوارث على هذه المنطقة ومن ضمن هذه الكوارث يشير إلى مقاومة أهل هذه المنطقة واستقامتهم في سبيل تحرير البلد ، ثم يتحدث عن "جبال سليمان" وجبال"هندوكش" والنهر المشهور "جيحون" وولاية "بنشير" بقوله:

على "جبال سليمان" الدِّما انتشرتْ ... نوراً تفتَّح زهوَ الحُسنِ الرَّأدِ
ومن ذُرى "هندوكوش" أمةٌ طلعتْ ... تمُدُّ أمجادَنا في الساح والأبد
وعند "جيحون" فَوْح المكرُمات شذا ... لله درك يا أفغان من بلد
"بنشير" يا وادي الأبطال هات لنا ... روائعًا وُصُغ الأمجاد واتَّقِدِ

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٣١)

يتحدث الشاعر عن حسن المنظر لجبال سليمان ويعتقد أن انتشار الدماء على جبال سليمان سبب جمالها ، ويعطي لأهالي هذه المنطقة شأنًا رفيعًا وفي الحقيقة يريد أن يبين أهمية انتشار الدماء في سبيل تحرير البلد من الأجنبي بالتضحية الذاتية التي تنتهى إلى العِزَّة والحرية ورفع الشأن.

وفي البيت الثاني يحمل الشاعر متلقيه إلى قمة جبال (هندوكش) والكلمات المستعملة في هذا البيت تحرِّك اللوحة في ذهن السامع وهذه الحركة والحيوية تؤثِّر أثرها البالغ على المتلقي. شبّه الشاعر سكانها بشمس تطلع من قمم جبال (هندوكش) وتحمل الأمجاد والعظمة والعزة معها ، وتمدها إلى كل المناطق ، كما تغطي الشمس جميع المناطق والساحات والميادين بأشعتها ونورها.

ثم يحمل الشاعر متلقيه إلى جمال طبيعة الأنهار وينقله إلى لوحة جميلة أخرى حيثُ تتدفق فيها المياه تَدَفُّقًا. يصف الشاعر ما حول نهر (جيحون) بالكرم وانتشار الرائحة الطيبة الكريمة التي تؤثر على طبيعة الإنسان تأثيرًا إيجابيًا ،

ويرمز هذا إلى كرم المنطقة وطبيعتها الخلابة. ثم يخاطب الشاعر ولاية (بنشير) وينسب إليها البطولة والرجولة والمجد ويخاطبها بجملة "يا وادي الأبطال" ، ويخلق بها في ذهن السامع الحركة والحيوية والتدفق. ثم يتكلم عن العاصمة الأفغانية مدينة (كابول) التي يجتمع إليها جميع المناضلين بقوله:

ميلـــوا "لكـــابول" صـــفًّا لا يُمزِّقـــه هـــوىً علـــى فِـــرقٍ شـــتّى ولا قـــدد
صـــفًّا إلى الله مرصـــوص دعائمـــه تقـــوًى تُثبّـــت مـــن أسٍّ ومـــن عُمُـــد

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٣٢)

يذكر الشاعر في هذه الأبيات مدينة (كابول) ويحذِّر المقاومين في سبيل تحرير هذه المدينة من التفرقة والاختلاف والتشتت؛ لأن هذه المدينة عاصمة البلد ومن أجل أهميتها الخاصة يخاطب أهالي المدن المذكورة بالقدوم إليها وتحريرها في صف مرصوص واحد لا يمزقه هوى ولا تشتت الآراء ولا اختلاف السلائق.

صورة الآخر الشهيد

للشهداء دور بارز في تحرير البلاد؛ لأنهم من الأجيال التي قدموا أرواحهم لتحرير البلد ولاستقرار الأمن ولكسب مفاخر المقاومة فيها. الشهداء هم رموز الفخر والعز والمجد في البلاد ، والمجتمع الأفغاني يفتخر بتقديم عدد كبير من الشهداء – بلغ عددهم مليون ونصف شهيد في ذلك الحين- في سبيل تحرير أفغانستان من مخالب الروس وحلفائهم ، والشاعر لم يتخلّ عن بطولة هذا الجيل بل وذكر تضحياتهم وأمجادهم في قوله:

جـــلال موتـــك أم صـــدق الجهـــاد أرى ودفقـــة الـــدّم أم عِطـــر الـــوُرود جـــرى
نـــورٌ علـــى عبـــقٍ ، هـــدْيٌ علـــى خُلُـــقٍ عـــزمٌ علـــى ســـبقٍ أوفى ومـــا خفـــرا
ريحانتـــان علـــى جنبيـــك أقبلتـــا فخُـــضْ إذن بهمـــا الأهـــوال والخطـــرا

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٣٨)

يشير الشاعر في هذه الأبيات الثلاثة إلى ذكرى شهادة الشيخ "عبد الله عزام" وولديه الذين استشهدوا بمدينة بشاور التابعة لباكستان. يأتي الشاعر في هذا المقام بصورة رائعة عن ذكر مشهد الشيخ عبد الله عزام وولديه بألفاظ تدل على العظمة والصدق والوفاء ، وكل من العبارات الواردة في هذه الأبيات ترسم صورة أمام القارئ ،حيث تخلق في داخله إحساسًا رائعًا. زيَّن الشاعر هذه اللوحة بأوصاف وصور من نورانية الشهيد وطيب الرائحة منه وتضحية نفسه على خلق كريمة وعزمه الراسخ على ما سبق من عهد على النضال والمقاومة والقيام والوفاء ، ثم شبّه ولديه بنوع من النبات الطيب الرائحة (الريحانة) ، ثم يُقدِّم صورة عن منزلة الشهيد بين الناس بقوله:

إن الشـــهيد حيـــاة النـــاس كلِّهـــم فيـــه وكـــل رُواء الأرض جـــرى
يُعلِّـــم النـــاس قـــول الحـــق أيـــن مضَـــوا ويجتلـــي في ميـــادين التقـــى الخـــبرا

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٤١)

يؤكد الشاعر هنا على أهمية الشهيد في المجتمع حيث أنه يعيد للمجتمع الإنساني حقوقه المسلوبة ويُحيي له هويته الفاشلة ويُحقِّق له منزلته المفقودة ، وأنه يزيِّن الأرض ويجعله جميلة لأهله وسكانه ، ويُشجِّع المجتمع على إظهار قول الحق واجتلائه في جميع الميادين ويعطي الناس فكرة الحرية والخلاص من القيود والاستثمار والاستلاب. ثم يمكث الشاعر على أمجاد شهداء الأفغان وأنشد أبياتًا تحت عنوان (شهداء الأفغان أبطال ملحمة جلّى) حيث يقول فيه:

أرثـــي إذن بهـــم أبطـــال ملحمـــةٍ جلَّـــى قضـــوا ودمًـــاً في ســـاحها انفجـــرا
مـــن كـــل شـــهمٍ عظـــيمٍ ، بـــات مشـــتهراً وكـــلُّ شـــهمٍ عظـــيمٍ ظـــلَّ مُســـتتِرا
كـــم مـــؤمنٍ جـــال في ســـاحاتها بطـــلاً قضـــى هنالـــك لا نـــروي لـــه خـــبرا
أغنـــاهم الله عـــن نثـــرٍ وقافيـــةٍ طـــوبى لمـــن فـــاز بالحســـنى ومـــن ظفـــرا

(النحوي ، ١٩٩١م: ١٤٤)

وفي هذه الأبيات يعطي الشاعر صورة إيجابية عن إيثار شهداء الأفغان بأجمعه ، وأظهر أن شهداء الأفغان هم أساس هذه الملحمة الجهادية ، وبسبب كثرة عددهم وعدم الاطلاع على أحوالهم في جميع المناطق الأفغانية ، ليس من المقدور للشاعر أن يأتي بأسمائهم ويذكر أمجاد كل واحد منهم ، وجميع هؤلاء الأوفياء ضحّوا أنفسهم في سبيل تحرير أفغانستان فطوبى لهم ولمن نجح في هذه المعاهدة.

النتائج

-احتلَّ الآخر الأفغاني مكانًا مُشرقًا في ملحمة الشاعر علي رضا النحوي. إن تسلط فضاء المقاومة في ملحمة الجهاد الأفغاني من تصوير المقاومة والإيثار ودمار المنازل والتضحية وتقديم الشهداء ، كل هذا يدل على بطولة هذا الشعب ويدل على مكانته الرفيعة في سبيل تحرير البلد من مخالب المعتدي الجائر.

-صوَّر الشاعر الحروب الأفغانية مقابل الغزو الروسي تصويرًا دقيقًا وأبان ما أحدثها الروس من المظالم في أفغانستان ، وحاول أن يبرز الحقائق والحوادث كما هي كانت ، لا كما هي تخيلت في ذهنه.

-هناك رابطة وثيقة بين ما رآه الشاعر وبين اختيار الألفاظ والعبارات في شعره ، فالشاعر عندما يتحدث عن المنازل المنهدمة ويصورها للقارئ ، فإنه كان قد رآها من قريب ، وذلك أن الشاعر كان متواجدًا في أفغانستان أثناء فترة الاحتلال الروسي.

-عالج الشاعر جانبًا من أدب الأطفال في شعره وعكس صدى الأطفال وحرمانهم وآمالهم على طريق التفكير الطفولي وأتى بتساؤلات على لسان الأطفال التي تعكس حرمانهم وآمالهم وتفاؤلهم.

-إن الشاعر يتحدث عن حتمية الهزيمة الروسية بأيدي الأبطال الأفغانيين باستعمال فعل التحطيم(حطّموا القيد) وهذا يدل على هزيمة الجيوش الروسي من جهة وبطولة المجاهدين من جهة أخرى.

-إن الشاعر لم يكن منتميًا إلى منطقة خاصة في أفغانستان أو إلى قومية خاصة ، كما أنه لم يكن متعصبًا في تفكيره ، بل كان يدعو المخاطبين إلى الوحدة وإلى عدم الاختلاف فيما بينهم؛ ومن أجل هذا ذكر أمجاد المناطق المختلفة في أفغانستان من شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ومركزها ، حيث إنه يشمل جميع القوميات في أفغانستان.

-ذكر الشاعر اسم (كابول) العاصمة الأفغانية رمزًا للوحدة الأفغانية ودعى المناطق المختلفة والأقوام المتنوعة إلى الوحدة وعدم الاختلاف في القول والعمل.

-تحدث الشاعر عن أهمية الشهيد ومكانته في المجتمع ، حيث أبرز أنه رمز للحياة ولإعادة الحيثية المفقودة في المجتمع وذكر بعض الشهداء العرب ، مثل: (عبد الله العزام وولديه) وكذلك الشهيد (تميم العدناني) وجميع شهداء الأفغان بدون ذكر الأسماء.

-ذكر الشاعر أولاً شهداء العرب في الغزو الروسي ثم أتى بذكر أمجاد شهداء الأفغان ويُعرف من هذا تفكير الشاعر حول قضية وحدة المسلمين في أزمة أفغانستان خاصةً ، ودعوة المسلمين إلى الوحدة في جميع أنحاء العالم عامةً.

المصادر

-القرآن الكريم

-ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على (١٤١٤ق). *لسان العرب* ، المجلد٤ ، بيروت: دار صادر.

-الأزهري ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي (٢٠٠٠م). *شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو* ، الطبعة الأولى ، المجلد٢ ، بيروت: دار الكتب العلمية.

-أبو طالب ، عبد الهادي (د-تا). *معجم تصحيح لغة الإعلام العربي* ، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

-أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٢٠٠١م). *تهذيب اللغة* ، الطبعة الأولى ، المجلد٢ ، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

-آن دُوزِي ، رينهارت بيتر (٢٠٠٠م). *تكملة المعاجم العربية* ، الترجمة والتعليق: النعيمي ، محمد سليم؛ الخياط ، جمال ، الطبعة الأولى ، المجلد٣. الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام.

-بحري ، خدا داد؛ البوغبيش ، صادق (٢٠٢١م). صورة الآخر البعثي في الرواية العراقية ، رواية إعجام أنموذجا ، *مجلة اللغة العربية وآدابها* ، العدد الثاني ، السنة ١٧ ، ص ٢٢٥-٢٤٦.

-حسين ، سليمان(١٩٩٩م). *مضمرات النص والخطاب دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي* ، اتحاد الكتاب العرب.

-حمود ، ماجدة (٢٠٠٠م). *مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن دراسة* ، اتحاد الكتاب العرب.

-الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (١٤١٩ق). *تفسير القرآن العظيم ابن كثير*. تحقيق: شمس الدين ، محمد حسين. الطبعة الأولى ، المجلد٥ ، بيروت: دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون.

-الذويخ ، سعد فهد (٢٠٠٩م). *صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي* ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب الحديث.

-الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (١٩٩٩م). *مختار الصحاح* ، الطبعة الخامسة ، بيروت: المكتبة العصرية.

-الزبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(د تا). *تاج العروس من جواهر القاموس* ، المجلد ١٠. تحقيق: مجموعة من المحققين ، بيروت: دار الهداية.

-الزحيلي ، وهبة بن مصطفى (١٤١٨ق). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج* ، الطبعة الثانية ، المجلد٢٧ ، دمشق: دار الفكر المعاصر.

-السامرائي ، فاضل صالح (٢٠٠٠م). *معاني النحو* ، الطبعة الأولى ، المجلد٤ ، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

-الشبلي ، إبراهيم خليل (٢٠١٩م). *الذات والآخر في الرواية السورية* ، الطبعة الأولى ، سوريا: دار فضاءات للنشر والتوزيع.

-الصابوني ، محمد علي (١٩٩٧م). *صفوة التفاسير* ، الطبعة الأولى ، المجلد١ ، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

-الطبري ، محمد بن جرير (٢٠٠٠م). *جامع البيان في تأويل القرآن* ، تحقيق: محمد شاكر ، أحمد ، الطبعة الأولى ، المجلد٢٠ ، مؤسسة الرسالة.

-عبد الرحيم ، ف (٢٠١١م). *معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها*. الطبعة الأولى ، دمشق: دار القلم.

-عمر ، أحمد مختار عبد الحميد (٢٠٠٨م). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. الطبعة الأولى ، عالم الكتب.

-عمر ، أحمد مختار وزملاؤه (٢٠٠٨م). *معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي* ، الطبعة الأولى ، المجلد١ ، القاهرة: عالم الكتب.

-عيسى ، فوزي(٢٠١٠م). *صورة الآخر في الشعر العربي* ، جامعة الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

-الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (د-تا). *كتاب العين* ، تحقيق: المخزومي ، مهدي؛ السامرائي ، إبراهيم ، المجلد٨. دار ومكتبة الهلال.

-المرسي ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (١٩٩٦م). *المخصص*. الطبعة الأولى ، المجلد٤ ، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

-مصطفى ، أحمد؛ الزيات ، أحمد؛ عبد القادر؛ حامد والنجار ، محمد (د-تا). *المعجم الوسيط* ، القاهرة: دار الدعوة.

-النحوي ، عدنان علي رضا (١٩٩١م). *ملحمة الجهاد الأفغاني* ، المملكة العربية السعودية: دار النحوي للنشر والتوزيع.

- الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (د-تا). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. تدقيق: الصميلي ، يوسف ، بيروت: المكتبة العصرية.

Sources

The Holy Quran

Al-Azhari, Khalid ibn Abdullah ibn Abi Bakr ibn Muhammad al-Jurjawi (2000 AD). Sharh al-Tasrih ala al-Tawdih aw al-Tasrih bi Madmon' al-Tawdih fi al-Nahw, First Edition, Volume 2, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Abu Talib, Abdul Hadi (n.d). A Dictionary of Arabic Media Language Correction, Lebanon: Lebanon Publishers Library.

Abu Mansur, Muhammad ibn Ahmad ibn al-Azhari al-Harawi (2001 AD). "Tahdhib al-Lughah," First Edition, Volume 2, Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

Ann Dozy, Reinhard Peter (2000 AD). "Supplement to Arabic Lexicons," translated and annotated by Al-Nuaimi, Muhammad Salim, and Al-Khayyat, Jamal, First Edition, Volume 3. Republic of Iraq: Ministry of Culture and Information.

Bahri, Khudadad; Al-Bughbesh, Sadiq (2021 AD). The Image of the Ba'athist 'Other' in Iraqi Fiction: A Study of the Novel 'I'jam'. Journal of the Arabic Language and its Literature, Issue 2, Volume 17, pp. 225-246.

Hussein, Suleiman (1999 AD). The Implicit Elements of Text and Discourse A Study in the World of the Novelist Jabra Ibrahim Jabra. Arab Writers Union.

Hamoud, Majida (2000 AD). Applied Approaches in Comparative Literature A Study. Arab Writers Union.

Al-Dimashqi, Abu al-Fida Ismail ibn Umar ibn Kathir al-Qurashi al-Basri (1419 AH). Tafsir al-Qur'an al-Azim by Ibn Kathir. Edited by Shams al-Din, Muhammad Hussein, First Edition, Volume 5, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Muhammad Ali Baydoun Publications.

Al-dhweikh, Saad Fahd (2009 AD). The Image of the Other in Arabic Poetry from the Umayyad Period to the End of the Abbasid Era, First Edition, Modern Book World.

Al-Razi, Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir (1999 AD). Mukhtar al-Sahah, Fifth Edition, Beirut: Al-Maktaba Al-Asriyya.

Al-Zubaidi, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Husseini (n-d). Taj al-Arus min Jawahir al-Qamus, Volume 10, Edited by a group of scholars, Beirut: Dar al-Huda.

Al-Zuhayli, Wahbah bin Mustafa (1418 AH). Al-Tafsir al-Muneer fi al-Aqeedah wa al-Shari'ah wa al-Manhaj, Second Edition, Volume 27, Damascus: Dar al-Fikr al-Mu'asir.

Al-Samarai, Fadel Saleh (2000 AD). Meanings of Grammar, First Edition, Volume4, Jordan: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution.

Al-Shubli, Ibrahim Khalil (2019 AD). The Self and the Other in Syrian Novels, First Edition, Syria: Dar Fada'at for Publishing and Distribution.

Al-Sabouni, Muhammad Ali (1997 AD). Safwat al-Tafasir, First Edition, Volume 1, Cairo: Al-Sabouni Publishing, Printing, and Distribution House".

Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir (2000 AD). Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Quran, Edited by: Muhammad Shakir, Ahmed, First Edition, Volume 20, Al-Risalah Foundation.

Abdul Rahim, F. (2011 AD). Al-Dakhil Dictionary of Modern Arabic and its Dialects. First Edition, Damascus: Dar Al-Qalam.

Omar, Ahmed Mukhtar Abdul-Hamid (2008 AD). Modern Arabic Dictionary. First Edition, AAlam Al-Kutub

Omar, Ahmed Mukhtar and Colleagues (2008 AD). The Linguistic Accuracy Dictionary: A Guide for the Arab Intellectual. First Edition, Volume 1, Cairo: AAlam Al-Kutub

Isa, Fawzi (2010 AD). The Image of the Other in Arabic Poetry. University of Alexandria: Dar Al-Ma'arif University Press.

Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim (n-d). Kitab al-Ain, Edited by: Al-Makhzumi, Mahdi; Al-Samarai, Ibrahim, Volume 8. Dar and Maktabat Al-Hilal.

Al-Marsi, Abu Al-Hasan Ali ibn Isma'il (1996 AD). Al-Mukhassas. First Edition, Volume 4, Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Ahmed Mustafa, Ahmed Al-Ziyat, Abdel Qader, Hamed, and Mohamed Al-Najjar (n-d). Al-Muajam Al-Wasit, Cairo: Dar Al-Da'wa.

Al-Nahawi, Adnan Ali Reda (1991 AD). The Afghan Jihad Epic, Kingdom of Saudi Arabia: Nahawi Publishing and Distribution House.

Al-Hashemi, Ahmad ibn Ibrahim ibn Mustafa (n.d). Jawahir Al-Balaghah in Meanings, Expressions, and EloquenAD. Edited by Yusuf Al-Sumayli. Beirut: Al-Maktaba Al-Asriyya

Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukram ibn Ali (1414 AH). "Lisan al-Arab," Volume 4, Beirut: Dar Sader.